الملف الأول : مصر التي لا نعرفها ويعرفها غيرنا

قالوا عنها :

1- " متى تعود مصر إلينا ؟ لن تعود إلا إذا عرفنا التاريخ على حقيقته ، وعدنا إلى حضارتنا المصرية التي أضاءت العالم كله إلا مصر بسبب عقول بعض أحفادها" .

د. وسيم السيسي

كتاب هذه هي مصر

2- " جميع اليونانيين الذين اشتهروا بعلمهم وحكمتهم زاروا مصر في العصور القديمة حتى يتعرفوا على عاداتها وينهلوا من علومها ... وإن كل الأشياء التي جلبت لهؤلاء الإعجاب كانت منقولة عن مصر " .

ديودور الصقلي

كتاب تاريخ العالم ط 1 القرن الأول الميلادي

3- " قانون الأخلاق في مصر القديمة أسمى بكثير من الوصايا العشر" .

جيمس هنري برستيد

كتاب فجر الضمير ص 10

4- " نحن في حاجة إلى قرون قادمة حتى نصل إلى هذا المستوى الرفيع من الحضارة (المصرية) " .

والاس بادج

5- " عقدة اليهود الأزلية هي الحضارة المصرية "

سيجموند فرويد

كتاب التوحيد

6- علينا أن نتيقظ وننتبه جميعا لأهمية الترابط الوطني كحجر أساس في تحقيق النهضة المصرية المرجوة .

إن كثيرا من المصريين الشرفاء في الداخل والخارج غير قادرين على مساعدة بلدهم وتقديم خبراتهم نتيجة لأفعال ما يمكن أن يطلق عليه "الطابور الخامس" الساعي لعرقلة كل تقدم وعمل مخلص .

د. أحمد زويل الأهرام 2015/11/10

وهذه هي

مصر ، أمه لا تهزم ، قد تخسر إحدى الجولات أو بعضا منها ، لكنها لا تهزم في معركتها من أجل البقاء ، تتغير الأنظمة ، وتتراجع الأجهزة ، وتنال قوتها أو أمنها انتكاسة ، أو قد يخسر جيشها جولة أو جولات لكنها تظل قادرة على التجديد وتخرج من داخلها مكوناتها الحضارية لتعيد تجديد نفسها ، أنها مصر .

لم تكن مقبرة للغزاة بالمعنى السياسي فحسب ، بل بالمعنى البيولوجي أيضا ، فقد كانت كل الغزوات تذوب في جسم مصر الكبير ، حتى الفتح العربي ... لم يكن تغييرا في مصرية مصر .... بقدر ما كان في الحكام فقط .

والمشكلة في الاستيلاء على مصر ... ليست في غزوها ... بل في الوصول إليها ، فنادرا ما تجد شعبا متماثلا في ملامحه الجسمية ، والنفسية ، بل في مزاجه وتقاليده مثل الشعب المصري .

اننا شعب واحد ... جغرافيا ، تاريخيا ، سياسيا ، وبيولوجيا ، وجينيا ، وهذه حقيقة أكدها العلماء .

ويرجع السبب الرئيسى في البلاء الذي أحاط ويحيط بمصر والدول التي في مثل وضعها الى غياب سيادة القانون (العدالة ، المساواة ، سرعة البت في الأحكام ، وقدرة الدولة على تنفيذها) ، الشفافية وحق المعرفة ، والمصداقية .

إن البيئة المصرية باعتبارها بيئة زراعية تميل للتدين بطبعها ، لأن الزراعة تثبت للإنسان قدرة الله في كل لحظة ، فهو الذي يسوق الماء ، وهو الذي ينبت البذرة

فيجعل منها ثمرة بقدرته ، وليس مستغربا أن يرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء إلى مصر في مرحلة مبكرة ليعلموا أهلها ديانة التوحيد ، بوصفها تربة خصبة للإيمان .

لقد اختار الله سبحانه وتعالى مصر لتكون مكانا لميلاد ادريس أول نبي بعد نوح عليهما السلام ، وكيف كانت موطنا ليوسف وموسى وهارون ، ومزارا لإبراهيم ويعقوب وعيسى عليهم جميعا السلام . وهو تشريف إلهي لهذا البلد ، وربط بينه وبين الأديان السماوية . وهو يعطينا مؤشرا جيدا إذا أردنا أن نعرف علاقة مصر الوثيقة بالأديان السماوية ، وبالتدين على مر العصور .

نتبين أيضا أن في تاريخ مصر نساءاً ورجالا عظماء خصهم الله بذكر أفعالهم الجليلة في كتابه العزيز لكي يتعظ بهم من يحب أن يتأسى ، ويبحث عن القدوة والمثل، كما نتبين أن المصريين أخوال العرب ، لأن العرب هم أولاد هاجر المصرية ، وأن الرابط بين مصر والعرب أقدم من الفتح الإسلامي . ونعرف أيضا أن المصريين صاهروا الأنبياء منذ أقدم العصور ، وهذه مكرمة تضاف إلى مكارمهم .

إن ما ضى مصر العظيم لابد أن يدفع الأجيال الحالية لكي يكون حاضرها في مثل عظمة هذا الماضي ، وإلا فقد فرطوا في حق وطنهم عليهم .

وعلى المصريين أن يفخروا بماء زمزم الذي فجر إكراما لهاجر وابنها ، وحق على المصريين أن يفخروا بأن هاجر قد خلد الله سعيها بين الصفا والمروة جزاء طاعتها وإبراهيم عليه السلام ، وأوجب على كل رسول ونبي وسائر من حج البيت الحرام أن يسعى سعيها ويجهد جهدها فما أعظم هذا وما أحسنه !

مصر باعتبارها الأرض – الأم التي فيها وصلت البشرية إلى سن الرشد ، ففي مصر ظهرت معظم فروع المعرفة البشرية ومظاهر الحضارة الحديثة ، مثل اختراع الكتابة وبناء الأهرامات وعلوم الطب والتشريح والكيمياء والحساب والهندسة ، ومع هذا فلم تتوقف الحضارة المصرية الفرعونية على المسائل المتعلقة بالتقدم العلمي والتكنولوجي ، ورغم أن العالم كله كان وثنيا قبل رسالة الأنبياء موسى وعيسى ومحمد – كان المصريون هم أول من قالوا بوجود كيان روحي غير مرئي للإنسان ، إلى جانب

الكيان الجسدي . فهم كانوا يعتقدون بأن الروح التي رمزوا لها في شكل طائر ، تغادر الجسد عند الوفاة وقد تعود في المستقبل لو تم الحفاظ على الجسد في حالة سليمة .

وظهرت فكرة وحدانية الإله للمرة الأولى في مصر ، على يد الملك اخناتون في أيام الأسرة الثامنة عشرة ، ذلك أن الأقوام البشرية الأولى كانت تجعل إلها لكل جماعة تعيش في قبيلة أو قرية ، وعندما تم توحيد مجموعة من القبائل والمدن ، صار معبود الجماعة المسيطرة على الحكم بمثابة إله للمجموعات كلها ، ولما كانت مصر هي الأمة الوحيدة التي تم توحيدها في الأزمنة القديمة تحت سيطرة سلطة مركزية واحدة ، أصبح هناك معبود مشترك يؤمن به جميع المصريين .

ونؤكد هنا أن المصريين هم الذين أقاموا مصر ؛ تأمل النيل مجتازا آلاف الأميال من خط الاستواء إلى البحر الأبيض ، هل تجد على طول مجراه إلا مصرا واحدة ؟ إن هبات النيل كهبات الطبيعة سواء بسواء ، طائشة عمياء ، إذا ما تركت دون ضبط ، فإنها تدمر كل شيء وتخلف المستنقعات .

والإنسان وحده هو الذي يستطيع أن يجعل من هذه الهبة نعمة لا نقمة ، وقد كان ذلك ما عمله الإنسان في مصر ، فمصر هبة المصريين .

أنهم أقوام استجابوا لتحدي الجفاف بتغيير موطنهم وتغيير طرائق معيشتهم معا ، وكان هذا الفعل المزدوج ، الذي قل أن نجد له مثيلا ، هو العمل الإرادي الذي بنى مصر كما عرفها التاريخ .

هبط أولئك الرواد الأبطال ، بدافع الجرأة أو اليأس ، إلى مستنقعات قاع الوادي ، وأخضعوا طيش الطبيعة لإرادتهم ، وحولوا المستنقعات إلى حقول تجري فيها القنوات والجسور وهكذا استخلصت أرض مصر ، وبدأ المجتمع المصري قصة مغامراته الخالدة لتستقيم له أمور دنياه وأمور أخراه .

ترى كم من الناس مر في خاطره ذلك الحلم الذي داعب خيال "الإسكندر الأكبر" وحدا به إلى رؤيا عالم روحه الوئام ، أو الإنسانية المنبثقة من اخوة بني الإنسان ، وعلى كل حال فإن المصريين تعلقوا بالإسكندر وضموه إلى أنفسهم ، بيد أن

خلفاء "الإسكندر" في مصر لم يثرهم شيء من ذلك الحلم الجميل ، ولم يفعلوا شيئا لكي تتفاعل الروح المصرية بالروح الهيلينية ، بل الأصح أنهم كرهوا هذا وعملوا ضده .

وخلف الرومان البطالمة ، وساروا بمنهج سابقيهم إلى أبعد مدى يستطيعونه . فلا عجب أن صار المصريون أكثر تجهما ، وأكثر عنادا وصلابة .

وجاءت المسيحية فخلصت الروح المصرية مما شابها من قتام وعبوس وصلابة . بيد أن اعتناق المصريين المسيحية ، ثم الإسلام بعد ذلك ، حدث في عالم مصري منشق على نفسه ، ولقد تحرر الإنسان حقا بفضل المسيحية والإسلام التحرر الحقيقي من رق الخرافة والعبودية لغير الخالق ، وتحرر الشعب من رق المقدونيين والرومان . ومع ذلك فإن الفرد المتحرر لم ينل الحرية التي تتيح له فرص اكتمال شخصيته ، فقد بقى التمييز والتفرقة ما بين الحاكم والمحكوم قائما ، وحال ذلك دون تمتع الفرد بنصيبه الكامل من الجزاء والمسئولية . ولكن التحرر الذي أتى بفضل الديانتين الجديدتين – المسيحية والإسلام – كان تحررا لا شك فيه ولا ريب . فلنتأمل مثلا مصر المسيحية تخلق فنا جديدا . وتقيم كنيسة قومية ، وتصنع لنفسها أداة لغوية جديدة .

إننا نعرف أنه كان هناك مصريون مندمجين في الإغريقية ، وإغريق "متمصرون" ، كما كانت هناك مصر المسيحية ومصر الإسلامية ، ونعرف أن الغرب قد سيطر على مصر ، وأن مصر اتجهت إلى الغرب حينا ، كما أشاحت بوجهها عنه أحيانا ، وكان ذلك في الحالين عن وعي وإدراك .

وبدخول القوم في الإسلام اتسع الأفق المصري ، وامتد إلى محيط دار الإسلام . وما ثقافة مصر في عهد الإسلام إلا الثقافة الإسلامية معدلة ، لتلائم ظروف مصر ، وهنا حدث فعلا تكافؤ بين الاستمرار وبين التغير . ولم نشهد رجحان كفة مبدأ التغير إلا عند استهلال القرن التاسع عشر وبدء الاتصال بالغرب .

إن وفود العرب على البلاد كان إيذانا ببزوغ فجر عملية جديدة من عمليات بناء الأمة المصرية فاجتذب الريف المصري رجال الصحراء إليه ، وارتباط مصر بدار

الإسلام فتح أبوابها – وبخاصة أبواب مدنها – للقادمين من البلدان الإسلامية الأخرى ، وبخاصة من بلاد المغرب ومن فلسطين وسوريا ، وقيام دول من المماليك، واعتماد تلك الدول على جيوش مؤلفة من أبناء الرق أدى إلى قدوم جموع من الجواري والعبيد من مختلف العناصر والأجناس ، وإذا اتجه النظر إلى أهل الريف فإننا نجدهم يستوون في الانتماء إلى طائفة من الفلاحين ، وإن كان فلاحو الدلتا مختلفون عن فلاحي الصعيد ، بل الاختلاف ظاهر من مديرية إلى أخرى . أما في المدن فكان القادمون الجدد أميل إلى الارتباط بمن سبقهم من أبناء بلادهم ، يزاولون ما يزاول هؤلاء من حرف أو أعمال ، ومن وفد منهم إلى مصر للتعلم ، فإنه يلحق بالأزهر ويعيش في "أروقته" المخصصة لبنى قومه أو لأهل مذهبه ، ومن جاء للتجارة فإنه يستقر في السوق المخصصة لسلعه ومتجره ، ومع ذلك فلم تكن هناك حواجز تحول دون الاختلاط ، فاختلط المسلمون الوافدون بالمسلمين من أهل البلاد ، كما اختلط المسيحيون الذين جاءوا من الشام بالأقباط وغيرهم .

أما الطائفة التي بقيت بمعزل عن اهل البلاد فقد كانت طائفة التجار الوافدين من أوروبا .

إن ثقافتنا الإسلامية بلغت مستوى وسطا ، فلم ترق إلى ما سمت إليه في ديار أخرى ، كما لم تهبط إلى ما هبطت إليه في ديار أخرى ، وإن أصالة ثقافتنا الإسلامية لترجع إلى تماسكها الشامل وارتباطها المحكم .

كما أن احتفاظ مصر بذاتيتها لم يكن من شأنه النزوع نحو العزلة أو الانطواء على النفس، بل كان يتجه نحو الملاءمة بين العناصر الثقافية المستوردة وبين بيئة خاصة ، وهنا نقرر ما كان للعناصر المسيحية المصرية في البلاد من الأثر الكبير في إجراء تلك الملاءمة سواء منهم في ذلك من احتفظ بمسيحيته أو تحول إلى الإسلام، فقد علموا الوافدين على البلاد كيف يعيشون تلك العيشة التي تلائم خير الملاءمة ظروف مصر ، من حيث أساليب الزراعة وطرائقها ، ونظام حيازة الأراضي ومسحها وريها ، وما يستتبع هذا كله من نظم إدارية ، وكذلك الصناعات القائمة على استخدام المواد

الأولية التي بين أيديهم على أحسن ما يكون وأحوال البلاد الطبيعية ، هذا إلى جانب وضع الأنماط والرسوم التي ترضى أذواق الشعب المتوارثة .

ولم يبدأ صرح حياتنا الثقافية في الاهتزاز والتخلخل إلا عندما دق الغرب على بابنا في نهاية القرن الثامن عشر بحملة جيش من الغزاة الفرنسيين .

وكانت الحملة الفرنسية نتيجة لثلاث ثورات أوروبية : الثورة العلمية ، والثورة الصناعية، والثورة الفرنسية .

وعلى الرغم من أن الاحتلال الفرنسي كان قصير الأمد إلا أن نتائجه وعواقبه كانت بعيدة الأثر في التاريخ ، إذ كان هذا الاحتلال حافزا لولاة مصر للبدء فى عمليات العمارة والإنشاء بوسائلهم وطرائقهم الخاصة .

ولو كان لسياسة الاحتلال البريطاني في مصر أن تتخذ لها شعارا لقدمت لها جملة طالما تكررت في كتابات كرومر ، ألا وهي : "بقدر معلوم" . فيجب أن يكون لنا نصيب من كل شيء بقدر معلوم ، نصيب من الاستقلال ، ومن الولاية العثمانية ومن الصلة ببريطانيا . ونصيب في السودان ، ونصيب من الحكم الشخصي ، ومن أنظمة الحكم الذاتي ، ونصيب من الرقي الثقافي والاقتصادي وهلم جرا .

إن مصر هي القلب النابض لمجال حيوي يمتد إلى ما وراء حدودها ، وإن التجديد شعار المجتمع ، وإن المجتمع يخضع لسلطان موحد .

ولكن كان ينبغي لكي تؤتي هذه المبادئ ثمارها أن يعامل الفرد المعاملة الخليقة بالمواطن، فإن إخضاع الشعب لسلطة عليا لا تخضع لسلطان القانون كان معناه اخضاعه لقوة غشوم مدمرة توجهها الأهواء ، كما أن تعبئة موارد البلاد دون وازع من الإنصاف أو التقدير للاعتبارات الإنسانية لم يؤد إلى ثراء الأمة ورخائها ، بل أدى إلى تقوية شهوة القلة من المنتفعين والأجنبية المستغلة ، وإشباع نهم طائفة لا قلب لها ولا ضمير ، كما أن سطحية نظام التعليم واتجاهه نحو أهداف نفعية ضيقة لم ينشئ فريقا من "الصفوة الفاضلة" بل خلق أدوات إدارية فاسدة لا تحسن أداء ما عهد إليها به .

وقد آمن المصريون بأن تكوين مصر على النحو الذي به تكونت وتوحيدها على النحو الذي به توحدت ؛ لأعظم من أن يكونا أثرا من آثار عبقرية فرد أو طائفة.

إن مصر التي بناها المصريون وشيدوها تتقاضى من بُناتها ثمن بقائها ، وتفرض عليهم نوع الحياة التي يحيونها . وقد بلغ من سيطرة مصر على ساستها وقادة أمرها ، رسمها لهم خطط إدارتها ، واستغلال مواردها ، أن يخضعوا سكانها لحكم مطلق مركز ، فيجنون بذلك ثمرة تنظيمهم لموارد المياه وموارد التربة .

وفي أدوار التاريخ المتتالية قد يسمو مستوى الإدارة وقد يهبط ويعم الرخاء أو البؤس ، ولكن يبقى ما بين الحاكم والمحكوم على ما هو عليه .

ولم يكن للأوروبيين حتى نهاية القرن الثامن عشر أية رسالة ثقافية ، كما أنهم لم يتلقوا شيئا ما عن الشعب ، إلى جانب ذلك نشطت التجارة مع بقية العالم الإسلامي ومع تلك البلدان فيما وراء البحار ، في قارتي افريقيا ، وآسيا التي وصل اليهما نشاط التجار العرب وسفنهم ، وهذا الاتصال المستمر المستديم بالعالم الخارجي هو الذي يميز تاريخ مصر الإسلامية عن تاريخ مصر المسيحية ، ومما يفسر هذا الفرق بين التاريخين أن مسيحي مصر (فيما عدا فئة قليلة من العلماء) لم تجمعهم بالعالم المسيحي في الشرق والغرب لغة مشتركة كاللاتينية والسريانية ، وكانت لغتهم القبطية وقفا عليهم وحدهم ، بينما كان لدى مسلمي مصر ولسانهم – العربية – وسيلة المشاركة في حركة الثقافة الإسلامية .

إن خير طريق يسلكه اليوم مسلمو مصر ومسيحيوها على السواء لكي يفهموا أنفسهم هو أن يعملوا على فهم الإسلام والمسيحية على حد سواء .

ففي الستينات من القرن الماضى كنا أمة متلاحمة وحققنا الكثير ، وفي السبعينات خضنا حربا شهد لها العالم، وفى بداية هذا القرن خضنا ثورتين أدهشتا العالم ولابد لهما أن يكللا بالنجاح ونجني ثمارهما ... علينا فقط أن نتيقظ وننتبه جميعا لأهمية الترابط الوطني كحجر أساس في تحقيق النهضة المصرية المرجوة .

من هنا نرى أن أرض مصر والمصريين لن يتغيروا مهما تعرضوا لظروف قاسية ، لأن صفاتهم تكمن داخل عروقهم في دمائهم .

وأن نغمة الطائفية هي تلك النغمة التي كانت تستخدمها الأنظمة السابقة لتمرير قرارات أو الحصول على صفقات ، ولم تكن تتورع عن إشعالها ، ثم بعد ذلك استخدامها أقباط المهجر للضغط على الداخل وتحقيق بعض المكاسب السياسية . ولم ينج الشارع من هذا الشحن ، وربما أتى ثماره في بعض المناطق ، حتى انقسم أبناء الوطن الواحد إلى معسكرات ، مع أو ضد ، وتمر الأعوام والسنوات وطبيعة الأرض والشخص لم تتغير حتى وإن أصابها بعض المرض في وقت ما ، إلا أنها تتعافى وتقف من جديد .

لمحة إلى سيناء :

دراسة سيناء لا يجب أن تقتصر على الدراسة الأكاديمية التي تخوض في التضاريس والمناخ والنبات والتربة والسكان وغيرها ولكن يجب أن تشمل الدراسة صميم البيئة الجغرافية ليصل الدارس إلى الحلقة المفقودة في روح المكان وجوهر الاقليم ، وبمعنى أدق جغرافيا الحياة نفسها ، والتي لو تمت معرفتها الحقيقية لأمكن التخطيط الدقيق لاستثمار ايجابياتها وتلافي سلبياتها.

وتبدأ أولا : بسيناء العبقرية .. والمكان ، حيث تمثل الممر البري الوحيد بين القارات الثلاث القديمة أفريقيا وآسيا وأوروبا وبما يضفي عليها أهمية استراتيجية فائقة يمكن استغلالها اقتصاديا وسياسيا ويمكن أن تصبح هونج كونج أخرى تزيد قيمتها عن هونج كونج الأصلية وقد وصفت فيها الطبيعة كل المقومات التي يمكن استغلالها في هذا المجال .

في نفس السياق ، وبما يتوفر لسيناء من إمكانيات زراعية وتعدينية وأراض متسعة تبحث عمن يستغلها ، يمكنها أن تكون داعما رئيسيا للاقتصاد المصري الواعد ، وعلينا أن نتصور فيما لو خططت محاور التعمير في سيناء ليشمل المحور الشمالي مجالات التعمير الزراعية / الصناعية / السياحية ومن خلال استغلال مكثف للإمكانيات

المتيسرة حيث يشمل ساحل سيناء على البحر المتوسط حوالي 220 كيلو مترا وهناك مشروعات قومية لامداد شبكات المياه وشبكات الطاقة وإقامة الموانئ ، وخطوط الغاز وغيرها .

ويشمل المحور الأوسط المجال الصناعي المكثف اعتمادا على الموارد الطبيعية المتاحة، إلى جانب زراعات بيئية قدر المستطاع .. هذا إلى جانب أن يستغل المحور الجنوبي لتعظيم طاقة السياحة، وأن يصبح المحور الرئيسى لانتقال التجارة والأفراد إلى منطقة الخليج والأردن والعراق ومن الطبيعي أن تدعم هذه المحاور بالسكك الحديدية والطرق المتسعة ، وهنا يجب أن نذكر أن المشروع القومي لتعمير سيناء قد حدد انتقال 3 ملايين مواطن من الوادي إلى سيناء حتى عام 2010 بينما وحتى الآن لا يزيد تعداد محافظة سيناء الشمالية على 420 ألف مواطن وسيناء الجنوبية حوالي 120 ألف مواطن ، إلى جانب عمالة تقدر بحوالي 400 ألف مواطن .

والشق الثاني ، هو السياحة في سيناء والتي لم يحسن استغلالها حتى الآن ، واقتصرت على السياحة الترفيهية ، بينما امكانياتها أكبر من ذلك بكثير .. وعلى سبيل المثال . فإن سيناء تسمية ربانية إلى جانب أن سيناء ظفرت بالتقديس والإجلال في جميع الكتب السماوية حيث ورد ذكرها في سفر الخروج في التوراة ، وفى كتابات السابقين الأوائل ، أما جبل الطور بسيناء ، هذا المكان المقدس من أرض مصر فقد ذكره الله في كتابه الكريم العديد من المرات وهو ما لم تحظ به أي بقعة على سطح الأرض بخلاف بيت الله الحرام وهذا الجبل هو الذي صدقت به معجزة من معجزات أنبياء الله سبحانه وتعالى .

ومن كل ما سبق أين السياحة الدينية في سيناء ولها مريدوها الكثيرون أين ذهب مشروع "مجمع الأديان" الذي كان يخطط له في وادي طوى المقدس، لماذا لا يتم إحياء طريق رحلة العائلة المقدسة ولماذا لا نحيي المناطق التي أقام بها أنبياء الله عليهم السلام في رحلاتهم داخل سيناء وهم أنبياء الله إبراهيم وموسى وعيسى وداوود وسليمان ويوسف ويعقوب ، هذا إلى جانب إحياء المناطق ذات التاريخ الديني ، فمثلاً منطقة "بيرلحسن" ؛ هي المكان الذي أشار إليه الكتاب الكريم بأن بها بساتين وخيرات،

ورفض أتباع موسى دخولها ، كذلك فإن المجرونتين شرق العريش التي توقف فيها الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص عام 20 هـ حتى يأتيهم أمر أمير المؤمنين بدخول مصر .. هذه نماذج فقط لأهمية إحياء التاريخ الديني لسيناء .

وفي مجال الاستراتيجية أيضا . علينا أن نربط ما بين التعمير والدفاع حيث أن تعمير سيناء هو ضمان رئيسى لأمنها ، ويشير التاريخ إلى أن سيناء استخدمت كممر لكل الحملات وحتى العصر الإسلامي ، ثم أصبحت عازلا في أعقاب فشل نابليون بونابرت في فتح الشام واستمرت على ذلك إلى أن أصبحت ميدانا لحروب الصراع العربي الإسرائيلي وكان فراغ سيناء حافزا لتطبيق مبادرات الجيوش حيث لا تجد ما يعيقها عند تنفيذها لأساليب المبادرة .

أما التعمير فسوف يلغى هذا المبدأ وسوف تجد الجيوش المعادية صعوبات جمة حيث سيواجهون بالكثافة البشرية والموانع الصناعية المتمثلة في المدن والزراعات وغيرها.

عودة للشخصية المصرية

لقد تميزت الشخصية المصرية على مر العصور الطويلة بسمات كانت أقرب إلى الثبات، أصيلة في وعي المصري بنفسه وذاته .. (الذكاء .. التدين .. الطيبة .. السخرية البريئة .. الميل للاستقرار) وهذه الصفات بوجه عام شكلت الخريطة الأساسية للشخصية المصرية في وعي المصريين ووعي غيرهم بهم .

وقد حدثت تحولات نوعية في بعض السمات على نحو يحتاج منا جميعا إلى الانتباه والتوقف ..

الذكاء المصري الفطري تحول إلى ما عرفه علماء الاجتماع بـ (الفهلوة) .. الداء الذي يعاني منه المصريون كثيرا في كل الأوقات وفى كل الظروف ، سواء كانوا أصحاب حق أو أصحاب واجب ..

وتعددت صور (التدين) على ما يخالف الروح المصرية الرصينة العميقة السمحة في فهم الدين وتطبيقاته وشرائعه .. وقلت درجة (الطيبة) والبشاشة والحنو والتسامح ، وحل محل كل ذلك الميل للعنف والعدوانية والشراسة .. وتأثر جانب

(الذوق) والإحساس الرفيع تحت ضغط التلوث والعشوائيات والزحام والاختناق .. وزادت حدة (السخرية) وأصبحت قاسية وأحيانا فجة وجارحة ، ووصلت إلى حدود لم يعرفها المصريون في حياتهم الاجتماعية ولا حتى السياسية .. أما (الاستقرار) فقد اهتز كثيرا بعدما أصبح الوطن ضيقا خانقا طاردا .

والسفر لخارج الوطن الذي أصبح حلم الجميع في المدينة والقرية حتى لو أصبح مغامرة ثمنها الموت غرقا أو إحدى السجون أو الوقوع في قبضة عصابات المخدرات والسلاح وتجارة الرقيق .

ويرجع البعض العوامل الرئيسة التي أدت إلى تلك التغييرات في السمات الأصلية للشخصية المصرية ، والتأسيس الراسخ لـ (مناخ الخوف) .. وهو الأمر الذي كان مفهوما قبل52، وكان الاحتلال بثقافته وسلوكه مثل كل محتل وغاصب .. أما وقد حدث ما حدث من انتكاس لحقوق المواطنة والعدل والمساواة على أيدي حكام مصريين من نفس طينتنا وجلدتنا ، أدى إلى الشرخ الكبير في الشخصية المصرية وأرسى قواعد السوء بتنويعاتها من الاتكالية والسلبية والفهلوة وثقافة (أخطف وأجرى) والأنانية والطمع والتفكك الأسرى .

ومع ذلك فإن الشخصية المصرية تتطور في النضج الجمعي ولديها القدرة على التعامل مع كل ما هو جديد دون التخلي عن الرواسب التاريخية الأصيلة ، وقوة الدولة في القوة الناعمة وهي مرتبطة بالبشر وقدرة المجتمع على أن يبدع ويفكر ولدينا أساس للقوة يفتقده الكثير من حولنا ، وهو الجيش المصري الذي يحتل مرتبة متقدمة على مستوى العالم والأول على المستوى العربي رغم أنه مستهدف بعد أن تم تفتيت معظم الجيوش العربية .

إننا نعيش في عصر العولمة وأصبح الجميع مرسلا ومستقبلا ، ولابد أن نكون طرفا نأخذ ونعطي ، ومصر لديها القدرة على الإبداع في السياسة والفن ، والشعب المصري إمكانياته الإبداعية عالية ويتمرد في أي وقت ، ومنذ 7000 سنة كان يستوعب الظلم ويصبر لفترة معينة ثم يكون في حالة تمرد جمعي ليس لها قائد في أغلب الأحيان وهذا إبداع في حد ذاته .

وتظل الدولة المركزية من أساسيات تكوين الشخصية المصرية ، فمصر تعرضت لغزوات وحروب وكان يحدث نوع من الامتزاج مع الشعب المصري ، هذه الأمور تتعلق بمنظور الثقافة ، واستطاعت أن تكتسب سمات من هؤلاء ثم تمصرت ، كما تتميز مصر بالتجانس البشري وارتباطها بالنهر ، وفكرة العائلات المتنافسة على الصناعة والزراعة ، وقد تسربت في نفس المصري العلاقة المتوترة مع السلطة ، وخاصة أن السلطة كانت تستبد وتظلم ظلما شديدا والطريقة التي كان يتعامل بها المصريون مع هذا الاستبداد ، وبالتالي نشأت تركيبة في الشخصية المصرية تستطيع أن تكتسب وتتمرد في لحظة .

لقد عانى الشعب المصري معاناة تنوء بحملها الجبال ، إن بلدنا (مصر) من أغنى البلاد في العالم ، فقد سرقها الهكسوس والفرس والرومان والفرنسيون و الانجليز بل وسرقها أهلها ومازالوا ، ورغم ذلك كله لا تزال بخير ولا تزال كنوزها موجودة تحت الأرض والكثير من هذه الكنوز لم يتم اكتشافها حتى الآن في مناجم النحاس بسيناء وأيضا كنوز الفيروز والمنجنيز والحديد والقصدير والرمال البلورية التي يصنع منها أغلى وأرقى أنواع الكريستال ، بل عليك أن تنظر إلى شواطئ البحر الأحمر من مدن سياحية ومصايف ومنتجعات ، وكذا تحت البحر في رأس محمد وبطول الشاطئ ، وعالم الأسماك الملونة والشعاب المرجانية ، وفي سيوة تجد صحارات المياه العذبة ، بل أن المصري القديم هو الذي نحت الصخور في أسوان وأتى بها إلى هضبة الجيزة مع أن وزنها يصل إلى آلان الاطنان لا تقوى على نقلها ناقلات عملاقة في عصرنا الحالي والتي بها بنيت الأهرامات في إتقان تام وعلم متقدم سبق عصره ، استخدموا في بنائها علم حساب المثلثات والفلك وغيره من العلوم .

إن الشعب المصري يثبت في الكثير من المواقف أنه يعرف ويتفهم ما يجري أكثر بكثير من بعض من يتحدثون باسمه، ومع هذا نرى في مرات كثيرة من يشيعون اليأس في أنفسهم وعلى صفحاتهم ثم يتحدثون عن مقاييس رأي الشعب وما يريده ، بينما الشعب مشغول أكثر بما يريد وبما يعرف ، ولم يعد ما يجري في العالم خافيا على الناس ، في ظل الانفجار المعلوماتي والسيولة الإعلامية .

ولعلنا بمراجعة تصريحات وأحاديث بعضا ممن يصنفون كقيادات سياسية أو حزبية نكتشف إلى أي مدى يبدون منفصلين عن الواقع ، غارقين في العزلة بدون تصورات للبدائل الحقيقية .

والمدهش أن هؤلاء الذين لا يكفون عن الحديث عما يريده الشعب لا يتطرقون إلى الواقع ويصرون على العيش في خيالات قديمة ، دون أن يتطرقوا إلى تفاصيل وخرائط ما يدور ، ولهذا يعجزون كثيرا وفى كل مرة في الاتفاق على تصورات ويشكون من أن الشعب يعطيهم ظهره ولا يرون أن غيابهم وتغيبهم وراء ما يجرى لهم ، ومع هذا لا يتعلمون من تجاربهم ولا من الشارع ، ويزعمون أنهم يخاطبون الناس بينما يعيشون في عالمهم الافتراضي بلا تواصل حقيقي مع الناس، ربما لهذا يعرفون أنهم غير قادرين على تنظيم أنفسهم ، فكيف يمكنهم إقناع المواطنين ؟!

مصر أحوج ما تكون إلى عقول أبنائها ، هذه العقول التي أفادت الأمم وهجرت قسرا في عصور سابقة .

هذه العقول بحاجة إلى توفير المناخ المناسب لكي تعمل وتبدع وتساهم في مد يد العون لهذا الوطن الجريح الذي تكالب الجميع عليه من أجل أن يسقط ، هذه العقول لابد أن تساهم في بناء نهضة مصر ، بفكرها وعلمها وخبراتها ، ولا يتركوا الساحة لمن يجرب وليس لديه الخبرات الكافية .

إن احتضان مصر لأبنائها هو الحل الذي لا حل غيره ، وفتح أبواب الأمل أمام الشباب الذي لديه قدرات هائلة على الابتكار والاستعداد للدفاع عن مكانة الوطن، بالإنتاج ، والمنافسة ، لأن من لا يملك قوت يومه ، لا يملك حرية قراره .